Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم تُسمع صرخة واحدة . لم تُسمع أدنى شكوى . ولو صرخ الطفل ، يعلم الله ، لما سمعه أحد... لربما سمعته الأسماك وحدها ، والسراخس على الضفاف ، وجزيئات الماء... وهذا ما كان لينقذه أبداً . بلى ، سمعه الله وحده . وربما القديسون والملائكة الذين هم ، على الأغلب ، أطفال مثله ، من يعلم إن كانوا توقفوا بإرادة إلهية عند سنيّهم الخمس الأخيرة ، وإن هبّت على أجنحتهم رياح عاصفة خلال قرون طويلة . ظهرت الجنة أسيرة شبكة الطاحون قرب دجاجة نافقة لا يُعلم كم من الوقت مكثت هناك ، وما كان عثر عليها أحد لو لم يغرق الطفل البرتغالي ، ولكانت الدجاجة أخذت بالتعفّن والانحلال ببطء ، ولكانت صاحبتها ظلّت على شكّها في أن إحدى جاراتها سرقتها ، أو عابر السبيل الملثّم ذا اللحية الذي يحمل على عاتقه كل الأخطاء .

ولو لم يكن للطاحون شبكة لما عثر على الطفل أحد ، ومن يدري إن كان طُحن شيئاً فشيئاً وتحوّل إلى دقيق ناعم كدقيق الذرة ، وأكلناه فيما نأكل! ولكان قاضي التحقيق أقرّ بهزيمته ، ولربما كانت قالت دونيا خوليا التي كانت ذات حسّ ذوقي مرهف :

– ما أغربَ طعم هذا الخبز!

لكن ، ما كان التفت إليها أحد ، ولحسبنا ذلك إحدى غرائب دونيا خوليا .

* * *